نورمن فنكلستين

فنكلستين مع آني كنفاني أثناء زيارته بيروت بدعوة من الآداب ومشاركة ناديَي «الساحة» و«اللقاء»

فنكلستين اختار أن يجيب عن جميع أسئلة البعد السياسيّ للمقاومة الفلسطينيّة المسلّحة في مقالة شاملة.

يلاحظ الكاتبُ الإسرائيليّ بواز ايڤرون في كتابه **دولة يهوديّة أم أمّة إسرائيليّة؟** أنّ «السياسة الإسرائيليّة والشعب الإسرائيليّ يميلان بشكل أساسيٍّ نحو حلّ المشاكل عن طريق العنف، ونحو اعتبار القوّة العنصرَ الأوحدَ، بدلاً من أن يجرِّبا الحلولَ الديبلوماسيّة والسياسيّة.» ومثله يجادل المؤرّخُ الإسرائيليّ زئيف ستيرنهال في كتابه **الأساطير المؤسِّسة لإسرائيل** فيقول إنّ ثمّة عقيدةً صهيونيّةً مركزيّةً هي «عدمُ التخلّي عن موقعٍ أو أرضٍ إلاّ إذا أَجْبَرَتنا على ذلك قوّةٌ عظمى.» والاستنتاج المعقول من هذا هو أنّ إسرائيل لن تَنْسحبَ من الأراضي المحتلّة إلاّ إذا استَجْمع الفلسطينيُّون من القوّة ما يَكْفي لتغيير حسابِ الكُلْفة لدى إسرائيل: أيْ أن يجعلوا ثمنَ الاحتلال باهظًا لإسرائيل. والحقّ أنّ السجلّ التاريخيّ يَدْعم هذه الفرضيّة. فقد انسحبتْ إسرائيلُ من أراضٍ احتلّتْها في ثلاث مناسبات: انسحبتْ من سيناء عامَ ١٩٥٧ عقب إنذارٍ آيزنهاور، ومن سيناء من جديد عامَ ١٩٧٩ بعد عَرْضِ مصر المؤثِّر وغيرِ المتوقَّع في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ومن لبنان عامَ ١٩٨٥ ثم عام ٢٠٠٠ بعد الخسائر التي أنزلتْها بها المقاومةُ اللبنانيّةُ. علاوةً على ذلك يبدو أنّ إسرائيل كانت تتأمّل جدياً الانسحابَ من أراضٍ فلسطينيّة محتلّة أثناء العامَيْن الأوّلَيْن من الانتفاضة الأولى (١٩٨٨ ـ ١٩٨٩) بسبب الأكلاف الدوليّة المحليّة التي أَنْزلها بإسرائيل عصيانُ الفلسطينيِّين المدنيُّ اللاعنفيُّ في أساسه. وفي رأيي أنّ السيناريو الأخير هو ما يُرجَّح أن يأتي الفلسطينيِّين بالظَّفر: فلا الحربُ التقليديّة ولا حربُ العصابات تبدوان خيارًا قابلاً للتطبيق، ولن تتدخّل الولاياتُ المتّحدةُ إلاّ حين تتعرَّض مصالحُها الحيويّةُ للخطر أو حين يُجْبرها الضغطُ الشعبيُّ على ذلك. إنّ عصيانًا مدنيّاً لاعنفيّاً، شأن ما حدث أثناء الانتفاضة الأولى، قد يُغْرق جيشَ إسرائيل، ويُبْطِلُ تأثيرَه، ويَخْلق حالَ استقطاب داخل المجتمع الإسرائيليّ، ويحرِّكُ الرأيَ العامَّ العالميَّ بما فيه الرأيُ العامُّ الأميركيُّ الحاسمُ الأهميّة.

إنّ الاعتداءات الإرهابيّة، بغضّ النظر عن كونها غيرَ مقبولةٍ أخلاقيّاً، ذاتُ فعّاليّةٍ مشكوكٍ بها. فهي تمكّن إسرائيلَ من وضع ثقل قوّتِها العسكريّة، وتوحِّد ـ بدلاً من أن تقسِّم ـ المجتمعَ الإسرائيليَّ، وتَقْلب الرأيَ العامَّ العالميَّ ضدّ الفلسطينيِّين. ومن المشكوك فيه أن تسبِّب الاعتداءاتُ الإرهابيّةُ وحدَها كلْفةً تكفي لتدفع إسرائيلَ إلى الانسحاب. صحيح أنّ الاعتداءات الصهيونيّة الإرهابيّة بعد الحرب العالميّة الثانيّة أسهمتْ في قرار بريطانيا التخلّيَ عن انتدابها على فلسطين عام ١٩٤٧، ولكنّ هذه الاعتداءات كانت مادةً حافزةً أكثرَ منها المحرّكَ الأساسيّ. فبريطانيا كانت قد أَفْلستْ بعد الحرب ولم تعد تستطيع أن تتحمّل الأعباءَ الماليّةَ لإمبراطوريّتها.

وسطَ السجالات حول ما إذا كان على الفلسطينيِّين أن يَتّبعوا طريقَ الكفاح المسلّح أو طريقَ العصيان المدنيّ اللاعنفيّ، يجب ألاّ يُنسى أنّ العجز الأساسيّ في النضال الفلسطينيّ كان ومايزال غيابَ قيادةٍ ملتزمةٍ تعبئةَ طاقاتِ المجتمع الفلسطينيّ كاملةً. هنا قد تكون قراءةُ سجلّ الحركة الصهيونيّة مفيدةً. فالصهاينة واجَهوا طوال تاريخهم ظروفًا كانت احتمالاتُ النجاح فيها مثبَّطةً بشكل ثابت، وكان النصرُ يبدو أبعدَ من منالهم على الدوام. ولكنْ عند كل منعطفٍ حاسمٍ كانت تُنْقذهم «معجزةٌ» ـ وهذه الكلمة تتكرَّر بشكل ثابت في التأريخات الصهيونيّة: «معجزةٌ» وعدِ بلفور، «معجزةُ» قرارِ التقسيم، «معجزةُ إخلاءِ الأرض من سكّانها» أثناء حرب ١٩٤٨، «معجزة» حرب حزيران ١٩٦٧، «معجزةُ» قدوم اليهود السوڤيات إلى فلسطين... ولكنّ قراءة متمعّنة للسجلّ التاريخيّ تبيِّن أنّ تلك لم تكن معجزاتٍ حقّاً. بل الأحرى أنّ الصهاينة كانوا في كل محطّة يَسْتغلّون فرصةً تاريخيّةً ضئيلةً إلى أقصى حدّ، فيوظِّفون كلَّ رصيدهم بشكل شامل. إنّ مأساة الفلسطينيِّين هي أنّ قيادتَهم ـ الفاسدةَ والعاجزةَ ـ قد بذّرتْ كلَّ فرصةٍ تاريخيّةٍ إلى أقصى حدّ. وما لم يرتِّب الفلسطينيُّون أوضاعَ بيتهم ـ وهذا يعني، بحسبِ ما شدّد حيدر عبد الشافي مرارًا وتكرارًا، دقرطةَ المجتمع الفلسطينيّ ـ فلن يهمّ أبدًا أيُّ استراتيجيّةٍ يعتمدونها.

شيكاغو